بقلم : أحمد عبد الرحيم السايح
« من علماء الأزهر »

١ القرآن الكريم .. والحياة

القرآن الكريم : كتاب الله الخالد، الذى أحكمت آياته ، ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، نزل بـــه الروح الامين ، على رسول الانسانية ، محمد عليه الصلاة والسلام ــ منجما حسب الوقائع والمناسبات ، من ليلة السابع عشر من رمضـــان ، للسنة الحادية والاربعين من ميلاد الرسول ، حيث أوحى اليه ، فى غار حراء • الـذى كان يتحنث فيه ، أول آية ، وهى : «اقرأ باسم ربك الذى خلق • خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم، الذى علم بالقلم علـــم الانسان مالم يعلم» •

وكان فى هذا الابتداء ، اشعـــار بالدعوة الاسلامية الى العلم ، والتنويه بشأنه ، وأن شعار هذا الدين العلم الذى يرفع الله به الامم، ويعز به الجماعات •

واستمر نزول القـــرآن ، حتى التاسع من ذى الحجـــة ، للسنة العاشرة من الهجرة ، والثالثة والستين من ميلاد الرسول ، حيث أوحى اليه «اليوم أكملت لكـــم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا» •

وبتمام نزول القـــرآن الكـــريم ، كملت شريعة الاسلام ، وأتم الله على الامة نعمته ، والقرآن بهـــذا الكمال والتمام • صار دستور المسلمين فى حياتهم الاجتماعيـــة ، والسياسية ، والاقتصادية ، والروحيـــة ، ومرجع العقائد ، والعبادات ، والمعاملات •

أحكمه رب العزة ، فأتقن احكامه ، وفصله فأحسن تفصيلـــه ، فيه من الاداب الفاضلة والاخـــلاق الحميدة، والتوجيهات السديـــدة ، والقيـــم السامية ، ماهو كفيـــل برقى الامم العاملة به ، المتمسكة بتعاليمه •

وهو : روح الاسلام الذى يشع فيه الكينونة والوجود ، وقلبه الذى ينبض بالحياة والحركة ، والدفع والتدفق،

Made With Pdf Office

وعقله الذى تلألأت به شهب المنى ، ودرت اثداء الامل ·

وهو : الجامعة الاسلامية العالمية ، التى ترسمت معالم الاخاء ، وشعت بقواعد المساواة ، وخفقت بأعلام الحق ، وعلائم الكمال ·

والمعنى الذى يفهم من لفظ «القرآن» كبير جدا لايدانيه معنى فى القوة والتأثير ، وان المؤمن الذى يتلوه ، لتنثال على خاطره منه دلالات وطيوف ، تملأ النفس خشوعا وروعة وجلالا ·

وفى كلمة القرآن معنى الجامعة، التى احتوت على جميع عناصر الصلاحية ، لكل الازمنة ، والامكنة ، والبيئات ، والمجتمعات والعصور ·

والقرآن الكريم ، وعي ، ووحى ، واشعاع ، وكتاب تربية ، وبرهان قاطع ، واية ساطعة ، وتشريع روحى، وقانون واف ، وسياسة أخاذة ،ونظام دولى ، واصلاح اجتماعى ، ومجمع علمى ،ودائرة معارف ، يرجع اليها أهل الفكر ، ويعتمد عليها أرباب النظر ·

والقرآن فوق هذا وذاك ، القاعدة الروحية ، التى تنطلق منهاالامدادات الالهية ، والفيوضات السماوية · واذا كان الانسان ، ذلك الكائن الحى، لاوجود لهولاحياة بغير الروح والقلب والعقل ، فان المسلمين لاكيان لهم ولا حياة ، بغير القرآن · فهو لهم الروح والعقل والقلب ، وهو لهم : الضياء ، والغذاء ، والشفاء ، والجرس الذى لاينتهى له مدى ، ولاينضب لهمعين· تنشده الامة ، فتجد فيه مبتغاها ،من التشريعات الفردية ، والعلائق الاسريه ، والمعاملات الاقتصادية ، والاجتماعية ، والحربية ، والقوانين المدنية ، والانظمة الدولية ، وبعبارة أدق وأوجز : تجد فيه الامة كل ماتحتاج اليه فى حياتها ، العامة والخاصة ، والدين والدنيا ·

نادى الناس بنداءات الهية ، أججت العواطف ، وحركت العقول من ركدتها ، وبعثت فى النفوس ثورة رائعة ، كان لها المدى البعيد فى تحويل مجرى الانسانية ·

ولقد وعى التاريخ ، عن الثورية فى القرآن ، مالم يعه لاى حدث اخر ، فى هذا الكون ، سواء فى معارك التهذيب النفسى ، حينما وجد الناس يسودهم الهوى ،ويسوسهم الجهل ، فاصبحوا بهديه مثالا يحتذى ·

أو فى معارك السلام يوم تدفقت سيول العرب ، من منابعها ، وخاض جنود الحق بفتوحاتهم أرجاء الدنيا ·

وماأصدق رسول الله ، اذ يقول فى حديث رواه الترمذى : «كتاب الله فيه نبأ ماقبلكم ،وخبر مابعدكم، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره ، أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لاتزيغ به الاهواء ، ولاتلتبس به الالسنة ، ولايشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولاتنقضى عجائبه ، هو الذى لم تنته الجن ، اذ سمعته ،حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدى الى الرشد ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه ، هدى الى صراط مستقيم» ·

ومأأبلغ ماقاله الدكتور موريس

Made With Pdf Office

الفرنسى فى وصف القرآن «انه بمثابة ندوة علميه للعلماء ، ومعجم لغة للغويين ، ومعلم نحو لمن أراد تقويم لسانه ، وكتاب عروض لمحب الشعر، وتهذيب العواطف ، ودائرة معارف للشرائع والقوانين» ١

ولقد اشتمل القرآن الكريم على ستة الاف ومائتين وستة وثلاثين اية منها حوالى سبعمائة وخمسون آية كونية وعلمية ، احتوت أصولا وحقائق تتصل بعلوم الفلك والطبيعة ، وما وراء الطبيعة ، والاحياء ، والنبات ، والحيوان ، وطبقات الارض ، والاجنة والوراثة ، والصحة ، والصحة النفسية ، والوقائية ، والتعدين ، والصناعة ، والتجارة والمال ، والاقتصاد الخ • واحتوت باقى الايات على الاصول والاحكام ، فى المعاملات، وعلاقات الامم ، والشعوب فى السلم والحرب ، وفى سياسة الحكم ، واقامة العدل ، والعدالة الاجتماعية، والتضامن الاجتماعى • وكل مايتصل ببناء المجتمع ، وفى رسم شخصية المسلم الكامل ، خلقا ، وأدبا ، وعلما، وفيما يجب ان يحتذيه من المثل العليا، ومايتحلى به من مكارم الاخلاق •

وهذا كله : بخلاف العبادات ، والعقائد والتكاليف ، وبخلاف القصص ، ومااحتواه من مواعظ وأمثال ، وغير ذلك من شتى امور الدين والدنيا ، مما كان محلا للدراسة، والاستنتاج والتخريج ، والتأصيل ، والبحث ، والتنقيب ، وكان أساسا لعلوم **الفقه ، والتفسير ، والحديث**، والاصول ، والاخلاق ، والاجتماع والبلاغة ، والادب ، وغيرها ، سواء كانت عقليه أم نقلية •

وكانت معانيه دائما ، كالماء الصافى الزلال فى بلور الاناء ، ومهما تشكل الماء بلون الاناء بحسب الزمان والمكان ، فهو نفس الماء الذى لايتغير لونه ، ولا ينضب معينه ، ولايتسنه طعمه ، ويظل هو نفس القرآن الذى لاتبلى على الزمان جدته ، ولاتنقضى عجائبه كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام ، ذلك أنه من العمق والاتساع ، ومن العموم والشمول ، بما يقبل تفهم البشر له ، أيا كان مبلغهم من العلم ، وبما يفى بحاجاتهم فى كل عصر ، ويتجاوب فى يسر ، مع أهل البداوة ، لانه لايلتوى على الافهام • ويبهر فى عمق اهل المدنية الذين صعدوا فى سلم الرقى، وبرعوا فى فنون العلم والمعرفة ، لانه يزخر كما يزخر البحر ، فى قاعه الدرر ، واللآلىء ، لمن استطاع الغوص اليها فى الاعماق ٢

ويضيق المقام عن الافاضة فى هذه المجالات الواسعة العميقة، فلا مندوحة من الاجتزاء ، والاكتفاء ، وايراد بعض الاصول والحقائق والى اللقاء •

---

١ ــ انظر كتاب التربية فى كتاب الله ص٦ للشيخ محمود خالد ، مطبعة الاعتصام القاهرة ١٣٨٨ هـ

٢ ــ راجع المحاضرات العامة للازهر ص٢٠ سنة ١٣٧٨ هـ مطبعة الازهر •

Made With Pdf Office